وفي سنة ١٨٧٩ اجتاز الانكليزي بلونت وامرأته بلاد الاردن ومنها الى الفرات ثم وصل الى حائل من بلاد نجد . وفي سنة ١٨٨١ اجتاز هوبرا صحاري بلاد العرب البحرية والغربية

وفي سنة ١٨٨٢ جعل الفلكي النمساوي جلازير بلاد اليمن موضع أبحاثه

هذا ولا زلنا نسمع كل يوم بالجرائد وغيرها أن بعضا من الفرنج قد بارح بلاده قاصداً السياحة والتروح ببلاد العرب والله أعلم بما يضمرون وما يلاقون هنا وما يكتشفون وكذلك قرأنا أن بعض من الدول يحاول من سنوات الاستيلاء على شواطيء الخليج الفارسي طمعا في أهمية مركزها وفي وفرة خيراتها ولنترك للمستقبل كشف الستار عن هذه الاطماع ونتيجة تلك الغايات اه

(احياء سنة او سنن واماتة بدع)

لقد كانت حياة الفاضلة منجلة الفضلاء والدة أصحاب العزة سعد بك واحمد فتحي بك زغلول خيراً لما كانت تأتيه من أعمال البر والاحسان وكان في مماتها خير لما أمات من البدع وأحيا من السنن

من كان يخطر على باله ان العادات السيئة التي أضرت بالدين والدنيا تحكم على العلماء وأهل الهداية والارشاد فلا يحاولون التفصي من عقلها والانطلاق من قيودها ، ثم تكسر مقاطرها « جمع مقطرة خشبة فيها ثقوب توضع فيها أرجل المحبوسين وقد فسرت قبلا » بأيدي علماء القانون وقضاة المحاكم الاهلية النظامية الذين يتوهم المعتزلون عن العالم في خلواتهم ومساجدهم انهم لا يبالون بخدمة الدين والانتصار لأصوله الشريفة والتدقيق في أحكامه والعمل على احياء سننه وآدابه الكافلة لسعادة الامم !

يقضي الميت في بيوت رجال الدين فتنشر الشعور وتدق الصدور وتلطم الخدود وتشق الجيوب وتسود الوجوه والملابس وتقلب أوضاع المساكن وتصيح الصائحات وتعدد النائحات وتسير الجنازة والنار توقد أمامها ودخان البخور يتصاعد من المجامر الفضية « اذا كان الميت غنيا » أو غير الفضية ويعلو الضجيج من فرق أهل الطريق فمنهم من يقرأ الاوراد ومنهم من ينشد الاشعار كالبردة والمنبهجة فتختلط أصواتهم بأصوات النساء الصارخات الخ ماهو مشاهد لجماهير القراء ثم تعقد محافل المأتم

ويكون فيها من الاسراف والتبذير والعادات السيئة المستقلة التي ينكرها الشرع وينبذها العقل ويتبرم منها كل ذي علم وفضل ودين وأدب ولكنهم يقولون العادات محكمة لا مرد لقضائها

ربما تراءى لكثير من الفضلاء ان يتفلتوا من أسر هذه العادات ولكن يصدهم عن ذلك خوف اللائمة من المقيدين بتلك السلاسل ورميهم بالبخل والفرار من النفقات . ولكن للحق رجالا لا تأخذهم فيه لومة لائم يؤيد الله تعالى بهم الفضائل ويحيي السنن الدوارس

مرضت الفاضلة التي ذكرناها في صدر هذه النبذة في بلدها خارج القاهرة فلما اشتدت عليها وطأة المرض وأحست بدنو الاجل طلبت الانتقال الى العاصمة لتموت فيها هربا من العادات الجاهلية التي يجري الناس عليها في المأتم ولا مناص منها في الارياف وكأنها واثقة بحسن تربية نجليها وقوة عزيمتهما في مقاومة العادات القبيحة مع مظهرهما العظيم وكذلك كان . فقد أبطلا في تجهيزها وجنازتها بدعة النواح وما يلتحق به مما أشرنا اليه آنفا و بدعة حمل النار والتبخير أمام الجنازة التي سرت الى المسلمين من أهل الملل الاخرى و بدعة رفع الاصوات في الاوراد والاشعار التي مر ذكرها و بدعة الاحتفالات ليالي الجمع الى أربعين يوما وأعلنا انهما يقبلان التعزية ثلاث ليال فقط اتباعا للسنة الشريفة . وقدرا ما ينفق عادة في الاحتفالات المعتاد أمثالها من الذوات أصحاب المظاهر وقررا اعطاءه للجمعية الخيرية الاسلامية لتوزعه على الفقراء فسنا بذلك سنة حسنة تسهل السبيل على من يريد ترك الاحتفالات التي يسمونها « المياتم » ويخشى اللائمة والرمي بالبخل . ومعلوم ان جنازة هذه الفاضلة قد حضرها خواص المصريين من جميع الطبقات العلماء والامراء والحكام والتجار كما فصلت ذلك الجرائد اليومية فعسى أن يجري الجميع بعد هذا على اماتة البدعة واحياء السنة واصلاح العادات الفاسدة المضرة بالدين والمال فقد رأوا أن ما كان يحذر من الذم والقدح على ترك هذه العادات قد استبدل به الثناء والمدح فما من عاقل الا وهو يلهج الآن بالثناء على سعد بك وفتحي بك الفاضلين وأجدر بشيوخ العلم والطريق ان يكونوا من السابقين الى ما ذكر على الوجه الاكمل والله ولي المتقين